"حكايتي شرح يطول"

حنان الشيخ.

ملخّص:

في هذه السيرة الذاتية، تحكي "كاملة" عن طفولتها في النّبَطِيّة، وعن محنة أمها مع زوجها الأول وعن بيروت العام 1934 عندما رحلوا إليها من الجنوب... وهي طفولة يحاصرها الفقر إلى حدّ أن "كاملة" تتمنّى أن تشحذ لتحظى بقليل من الحلوى والدَّبس!

في بيروت، تتكشّف لها الحياة في تجليّاتها المتنوعة، المسلّيّة، وبخاصّة أفلام السينما المصرية التي استولت على لُبّها. وعلى رغم الرقابة القاسية التي يفرضها عليها كل من زوج شقيقتها المتزمّت وشقيقها العابس، فإن "كاملة" عرفت كيف تتسلل الى مشاهدة أفلام : "الوردة البيضاء" و "رابحة" و"يحيا الحب"...، لتجعل من شخوص هذه الأفلام وحواراتها وأغانيها فضاء موازياً تُنَفّس به عن كبتها وتنسى من خلاله المناخ الديني المتجهّم الذي يقهر رغباتها. ومن خلال الجارة، فاطمة الخياطة، تعرّفت إلى الشاب "محمد" الذي كان يدرس في بيروت ويُحبّ السينما مثلها. نشأت بينهما عاطفة حب جارفة، إلا أن موت شقيقتها جعل العائلة تُرغم "كاملة"، وهي في سنّ الرابعة عشرة، على أن تتزوج من زوج شقيقتها البخيل، المنغلق على ذاته والمنصرف إلى تجارته... كانت ثمرة هذا الزواج ابنتين: فاطمة وحنان، لكن "كاملة" استأنفت علاقتها مع حبيبها محمد المتيّم الذي ألح عليها ان تطلب الطلاق ليتزوجها هو. وكانت أخبار لقاءاتهما الغرامية انفضحت، فلم يجد الزوج بدّاً من تطليقها، فتزوّجت من "محمد" وولدت معه خمسة أولاد وبنات، متحمّلة التقشف وضغط التقاليد...

بين إشراقات زواج الحب وعتمات الملل والشك، ظلّت كاملة متلألئة بمرحها وسخريتها وتعلّقها بالغناء ومشاهدة الأفلام. إلا أن الموت اختطف زوجها وحبيبها "محمد"، فتابعت الرحلة وحدها ناشرة الفرح والدُّعابة بين جاراتها وأفراد عائلتها. وفي الأثناء، تحسّنت علاقتها بوالدها وبابنتيها فاطمة وحنان، وسافرت الى أمريكا لزيارة ابنها... ما مِنْ شيء يوقف إقبالها على الحياة لولا السّرطان الذي تسلل الى جسمها الصغير في غفلة منها، فسهرت حنان على علاجها إلى أن غادرت الحياة، لكن صوتها ظلّ يحكي، من وراء القبر، حزنها على فراق الأهل والأحباب...